دلالات ثقافة التسامح بين قبول الآخر والاختلاف معه

أ.د. أحمد عبد الرشيد حسين *

مقدمــة:

أصبحت ثقافة التسامح وقبول الآخَر من القضايا المهمة التي يفرضها الواقع المعاصر لمواجهة العنف في المجتمع، وترسيخ القيَم الإنسانية وتعزيز وتدعيم قيم المواطنة، فالتسامح من الصفات التي تأنس لها النفوس وتنجذب إليها القلوب.

وقد دعت جميع الكتب السماوية إلى مبادئ الرحمة والتعايش والتقارب بين الناس كافة، تلك المبادئ المضيئة التي أصبحت نبراسًا يضيء الطريق لمواجهة العنف والتطرف والصراعات للحفاظ على الحياة البشرية، وفي هذا يقول المولى – عز وجل – في كتابه الكريم: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ (سورة الحجرات، الآية رقم: ١٣).

كما يسود اتجاه عالمي متزايد نحو ترسيخ ثقافة التسامح وتقبُّل الآخرين، سواء على مستوى الأسرة أم المجتمع أم الدول، ولتدعيم هذا الاتجاه خصصت الأمم المتحدة منذ عام ١٩٩٦ يومًا دوليًا للتسامح بين البشر؛ حيث دعت الجمعية العامة للأمم المتحدة الدول الأعضاء إلى الاحتفال بيوم ١٦ نوفمبر من كل عام باليوم العالمي للتسامح، وسعت إلى تدعيم التسامح وقبول الآخر من خلال تعزيز التفاهم المتبادل بين الثقافات وحياة الشعوب والمجتمعات البشرية، حيث تعتمد الحياة على تعدد وتنوع اللغات واختلاف العادات والتقاليد والعقائد والمذاهب.

لهذا أصبحت ثقافة التسامح وقبول الآخَر مألوفة ومتداولة لدى المجتمعات المختلفة، لكن دلالات ومؤشرات تلك الثقافة تختلف اختلافًا كليًا بين أفراد المجتمع الواحد طبقًا للمفردات البيئية

* أستاذ المناهج ووكيل كلية التربية – جامعة حلوان – مصر.

والثقافية التي تحيط بأفراد المجتمع؛ ومن ثَمَّ لا يزال العلماء يواجهون إشكالية في الوصول إلى دلالات شاملة لثقافة التسامح وقبول الآخَر؛ لذا سوف نتناول دلالات ثقافة التسامح وقبول الآخَر من خلال العناصر التالية:

- المفهوم الاصطلاحي لثقافة التسامح
- ثقافة التسامح والتواصل الحضاري
- ثقافة التسامح ومؤسسات المجتمع
- مؤشرات ثقافة التسامح
- أنواع ثقافة التسامح
- مبادئ ثقافة التسامح
- دعائم ثقافة قبول الآخَر.

المفهوم الاصطلاحي لثقافة التسامح:

العفو عن الناس وعدم رد الإساءة بالإساءة، والتحلي بالأخلاق الرفيعة التي دعت لها الديانات والأنبياء والرسل كافةً من الصَّفْح الجميل عن الآخرين، والإحسان للآخرين، والعفو عند المقدرة، والحفاظ على حقوق الآخرين، ونبذ الظلم والاعتداء على الآخرين، وتحقيق الوحدة والتضامن والتماسك بين أفراد المجتمع، والابتعاد عمَّا يفسد المجتمع من خلافات وصراعات.

فالتَّسامح أسلوب حياة يُساعد الإنسان على التعايش مع المتغيِّرات، والتصرُّف السويّ مع الاختلافات كافّة، مع تعميم ثقافة احترام تلك الاختلافات، فتسود بيئة مجتمعيَّة تكامُليّة من التعاملات البشرية القائمة على مبادئ المساواة واحترام الآخرين.

كما يتضمن مفهوم التَّسامح عنصرين مترابطين، هما الحقوق والواجبات؛ إذ يتعيّن على الإنسان أن يعرف حقوقه ومبرِّرات الحصول عليها من جهة، ويفهم واجباته ودوافعه تجاه تحقيقها من جهة أخرى.

ثقافة التسامح والتواصل الحضاري:

التسامح سلوك إنساني وحضاري ضروري للتعايش المشترك بين بني البشر؛ ومن ثَمَّ الاحترام والقبول والتقدير للتنوع الثريّ لثقافات العالم وللصفات الإنسانية المختلفة.

كما أن التسامح سلوك حضاري بالمفهوم العميق للحضارة، التي من شأنها أن تخفف

من أجواء التوتر وتفتح المجال أمام تعزيز التعاون الدولي عن طريق حوار الثقافات وتحالف الحضارات تدعيمًا للسلام العالمي؛ بهدف تلاقح الثقافات الإنسانية في شتى مناحي الحياة.

إثراء ثقافة التسامح داخل مؤسسات المجتمع:

تعدُّ الأسرة من أُولَيات المؤسسات الاجتماعية التي تعمل على تكوين وإثراء ثقافة التسامح وقبول الآخَر لدى أفراد المجتمع، فهناك الدور الحيوي الذي يجب أن يقوم به أولياء الأمور في تهيئة البيئة الأسرية الداعمة لثقافة التسامح والإخاء وقبول الآخَر، فأول مظاهر التسامح يكتسبها النشء من الأسرة من خلال العلاقة بين أفراد الأسرة، ففي محيط الأسرة عندما يشيع جوُّ المَحبَّة والأُلْفة والتضحية، يزيد الترابط بين أفراد الأسرة، وتقل المنازعات، ويزيد التماسك الأسري، الذى به يستطيع الفرد أن يواجه ضغوط الحياة والمجتمع والظروف الخارجية، والتحديات التي يواجهها.

كما أصبحت ثقافة التسامح وقبول الآخَر من القضايا الرئيسة المتضمنة في منظومة التربية داخل المؤسسات التعليمية، وفي هذا الصدد يمثل المعلم الركيزة الأساسية لهذه المنظومة؛ ومن ثَمَّ لا بُدَّ من الاهتمام به وتدريبه لنشر هذه الثقافة في عقول ووجدان المتعلمين.

ثم تتسع دائرة إثراء ثقافة التسامح وقبول الآخَر لتشمل المجتمع بأكمله بجميع مؤسساته المختلفة من وسائل الإعلام، ومؤسسات العمل والإنتاج، وغيرها، فيسود بين أبناء المجتمع علاقات الترابط والتعاون والتماسك؛ ليشعر الإنسان بالأمان والانتماء، لا سيَّما أن الإنسان كائن اجتماعي بطبعه، ولن يستطيع أن يعيش بمعزل عن الآخرين.

مؤشرات ثقافة التسامح:

- احترام الرأي الآخَر ووجهات النظر الأخرى.
- تقدير الصفات الإيجابية لدى الآخرين.
- احترام حقوق الآخرين.
- البحث عن الاهتمامات المشتركة مع الآخرين.
- احترام الأعراف والعادات والتقاليد الاجتماعية للآخرين.
- التصرف بمسئولية منضبطة تجاه الآخرين.

- المحافظة على التوازن بين التنافس والتعاون أثناء التعامل مع الآخرين.
- تجنب الأفكار السلبية المسبقة النمطية عن الآخرين.
- نبذ العنف والتمسك بالوُدّ والمحبة أثناء التعامل مع الآخرين.
- الالتزام بالقوانين والمبادئ العامة للمجتمع.
- الالتزام بآداب الحوار وحُسن الاستماع للآخرين.
- قبول الآراء المختلفة ونقدها بأسلوبٍ بنَّاء.
- نبذ التمسك بالرأي الأوحد حول قضايا المجتمع.

أنواع ثقافة التسامح:

- **التسامح الديني**: يتضمن التأقلم مع جميع الديانات السماوية، وعدم التعصب أو حرمان الآخرين من ممارسة شعائرهم الدينية.
- **التسامح العِرْقي**: يتضمن تقبُّل الآخرين مع اختلاف اللون والسلالة البشرية والعرق والأصول.
- **التسامح الفكري والثقافي**: يتضمن البعد عن التعصب لفكرةٍ ما، وتقبُّل أفكار ووجهات نظر الآخرين، مع التحلي بآداب وفنيات الحوار ومخاطبة الآخرين.
- التسامح الاجتماعي: يتضمن تحقيق المصالح العامة للمجتمع مع الالتزام بضوابط وقوانين المجتمع.

مبادئ ثقافة التسامح:

تستند ثقافة التسامح على عدة مبادئ أساسية، من أهمها:

- الاعتراف بوجود الآخَر.
- الاعتراف بحق الآخَر في الاختلاف لغويًا وثقافيًا وعقائديًا.
- التعاون والتعايش المشترك بين بني البشر.
- الابتعاد عن التعصب والاختلاف غير المُبرَّر مع الآخرين.
- الاقتناع بأن الحقيقة ليست مطلقة ولكنها نسبية.
- قبول الآخَر لا يعني التقليل من شأن الفرد.

- إتقان آداب وقواعد الحوار البنَّاء.
- قبول رأي الآخَر إن كان صوابًا، واحترامه إن كان يحيد عن الصواب.

دعائم ثقافة قبول الآخر:

الآخَر هو كل البشرية لا فرق بين لونٍ ولون، سلالةٍ بشريةٍ وأخرى، مُعتقَدٍ وآخر، طائفةٍ وأخرى.. وقبول الآخَر هو قبول كل إنسان في كل مكان وزمان، وتستند ثقافة قبول الآخَر على ثلاث دعائم أساسية؛ هي:

١- الاهتمام بمشاعر الآخرين:

الاهتمام العميق بالآخرين ومشاعرهم واحتياجاتهم وأفراحهم وأحزانهم، من أهم مبادئ ودعائم قبول الآخَر، وما أجمل عبارة مصطفى كامل حين قال: (ما استحق أن يُولَد من عاش لنفسه فقط)؛ أي لا تعدُّ حياة الفرد حياة حقيقية، حين ينغلق حول نفسه ولا يخرج منها ليندمج مع الآخرين.

فالاهتمام بالآخرين هو المعبَر الحقيقي الذي تتلاشى عليه الحواجز بين قلوب البشر، فتعبر القلوب من الأنا إلى الآخَر. فعندما يُبدي الانسان اهتمامًا صادقًا مخلصًا بكل ما يهم الآخرين، فإنه ينال في قلوبهم المكانة والحب والتقدير، بل يبحثون عنه دائمًا.

٢- مدح وتقدير الآخرين واحترامهم:

تعدُّ الحاجة إلى التقدير من أهم احتياجات الانسان، بل هي رغبة متأصلة في النفس البشرية، كما يسعد الإنسان حين يمدحه الآخرون، أو حين يقدرون ما لديه من مواهب وقدرات، فكل إنسان في حاجة إلى كلمة مدح وتقدير؛ ومن ثَمَّ ينبغي إشباع هذه الحاجة عند الآخرين لأولئك الذين يستحقونها.

٣- الابتسامة في وجه الآخرين:

من أهم ملامح قبول الآخَر الوجه، فهو بطاقة التعارف مع الآخرين؛ ومن ثَمَّ ينبغي على الفرد أن يتعامل مع الآخرين بوجهٍ مبتسمٍ هادئٍ بَشُوش، فيُقبل الآخرون عليه ولا ينفرون منه.

خاتمة:

إن ثقافة التسامح وقبول الآخَر فضيلة وقيمة إنسانية حثت عليها ودعت إليها جميع الأديان

السماوية، لغرسها في نفوس وضمائر بني البشر لنبذ المشكلات الاجتماعية والنفسية والثقافية والعقائدية.

فالتسامح وقبول الآخَر بذلك قيمة تتأسس على التوازن بين تقبل الآخَر والاختلاف معه، فهو ليس تنازلًا أو مجاملة لأحد، بل سلوك بشري فعَّال يحركه الإقرار بحقوق الآخرين. ومن ثَمَّ يعدُّ التسامح من أهم مظاهر الاعتراف بحقوق الإنسان والتعدُّدية والديمقراطية وسيادة القانون في المجتمع.